العلاقات التجارية بين مملكة وداي وطرابلس الغرب في القرن التاسع عشر الميلادي ودورها الحضاري والاجتماعي

د. محمد المهدي أحمد

أستاذ مساعد بجامعة آدم بركة بأبشة– تشاد

almahadiahmat1@gmail.com

orcid 0000 0002 1671 8207

المستخلص:

تعتبر القوافل التجارية من أقدم الأنشطة البشرية التي ربطت الكثير من المجتمعات البشرية، وساهمت في توثيق الصلات بينها، وكان هذا النشاط يمارس بشكل كبير بين مملكة وداي وطرابلس الغرب خلال القرن التاسع عشر الميلادي، مما ساعد في توطيد العلاقات الاجتماعية ونشر الثقافة العربية الإسلامية. لم يقتصر دور القوافل التجارية على الجانب التجاري فحسب، بل ساهمت في العديد من المجالات الإنسانية والحضارية، وذلك بنقل الكثير من العلوم والمعارف والتقنيات والأفكار إلى المناطق التي كانت تجوبها تلك القوافل من شمال الصحراء إلى جنوبها.

تكمن أهمية البحث في محاولة التعرف على طبيعة العلاقات التجارية القائمة بين كل من مملكة وداي وطرابلس الغرب في القرن التاسع عشر الميلادي، وأهم الطرق التي كانت تسلكها القوافل والمراكز التي نشأت بفضل ممارسة هذا النشاط. والوقوف على الآثار الإيجابية التي نتجت عن القوافل التجارية.

ويهدف البحث إلى التعرف على طبيعة العلاقات التي كانت تربط شعب مملكة وداي بشعب طرابلس الغرب. ويحاول البحث الإجابة على الأسئلة التالية: ما مدى العلاقات التجارية التي كانت تربط شعب مملكة وداي بشعب طرابلس الغرب؟ وما هي الآثار التي خلفتها القوافل التجارية؟ وما هو الدور الذي قامت به القوافل التجارية في نشر الثقافة العربية الإسلامية؟

ولتحقيق هذا الهدف اتبع الباحث المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي. يتضمن البحث مقدمة وخمسة محاور، ونتائج وخاتمة.

الكلمات المفتاحية: قوافل، تجارة، طرق تجارية، مراكز تجارية، جنوب الصحراء.

(ISSN: 2536 - 9555)

The trade relations between the Kingdom of Wadai and Tripoli in the 19th century AD and their socio-cultural role

Dr MAHAMAT AL-MAHADI AHMAT
Maitre-Assistant
Enseignant- chercheurs à l'Université Adam Barka d'Abéché Tchad
almahadiahmat1@gmail.com
orcid 0000_0002_1671_8207

Abstract:

Trade caravans are among the oldest human activities that connected various human societies and contributed to strengthening ties between them. This activity was extensively practiced between the Kingdom of Wadai and Tripoli, Libya, during the 19th century AD, which helped solidify social relations and spread Arab-Islamic culture. The role of trade caravans was not limited to commerce alone; they also contributed to various humanitarian and civilizational fields by transferring knowledge, sciences, technologies, and ideas to the regions traversed by these caravans from the northern desert to the south.

The significance of this research lies in its attempt to explore the nature of the commercial relations between the Kingdom of Wadai and Tripoli, Libya, during the 19th century AD, the main routes taken by the caravans, and the centers that emerged due to this activity. It also seeks to uncover the positive impacts resulting from the trade caravans.

The research aims to identify the nature of the relationships that connected the people of the Kingdom of Wadai with the people of Tripoli, Libya. It attempts to answer the following questions: To what extent were there trade relations between the people of Wadai and the people of Tripoli, Libya? What were the impacts left by the trade caravans? What role did the trade caravans play in spreading Arab-Islamic culture?

To achieve this objective, the researcher adopted both the historical and descriptive-analytical methods. The research includes an introduction, five sections, results, and a conclusion.

Keywords: Caravans, Trade, Trade Routes, Trade Centers, Southern Desert.

المقدمة

تعد العلاقات التجارية من أقدم العلاقات التي ربطت جنوب الصحراء الكبرى مع مناطق شمال إفريقيا، وخاصة بين مملكة وداي وطرابلس الغرب في القرن التاسع عشر الميلادي، وكانت التجارة تتم بينهما عبر القوافل التجارية التي كانت تتنقل من الشمال إلى الجنوب والعكس.

كانت مناطق الجنوب تصدر منتجات عديدة من بينها ريش النعام، والعاج، والصمغ العربي، والجلود وغيرها من البضائع، كما تستورد من الشمال منتجات أخرى من أبرزها الأقمشة، والملابس الجاهزة، والحلي، والبارود، والكتب، وغيرها من السلع الأخرى.

وقد مرت تجارة القوافل بفترات ازدهار، نتيجة توفر عوامل ساعدت على ازدهارها، كما مرت بفترات تراجع واضمحلال، بسبب عوامل أخرى في مقدمتها الصراعات القبلية والسياسة والتدخلات الاستعمارية في القارة الإفريقية. وقد واجهت القوافل خلال القرن التاسع عشر الميلادي الكثير من الصعوبات بسبب الأطماع الاستعمارية الأوروبية في القارة الإفريقية وخيراتها، وخصوصاً أن هذه الفترة تزامنت مع ظهور الثورة الصناعية في أوروبا مما يعني أن أوروبا كانت بحاجة إلى مواد أولية للصناعة وأيضا إلى أسواق لتسويق الفائض من الانتاج.

هذا الأمر أدى إلى ظهور حركات مقاومة في أماكن مختلفة في شمال إفريقيا، ومنطق جنوب الصحراء، من بينها الحركة السنوسية التي كان لها الدور البارز في مقاومة تجارة الرقيق، والحد من الأطماع الفرنسية في المنطقة.

وقد ساهمت القوافل التجارية إلى جانب المجال الاقتصادي في جوانب أخرى كالجانب الديني، والجانب الثقافي، والجانب الاجتماعي، والعمراني، وغيرها من الجوانب الحضارية.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في محاولة التعرف على طبيعة العلاقات التجارية التي كانت سائدة بين مملكة وداي وطرابلس الغرب في القرن التاسع عشر الميلادي، والوقوف على الآثار الإيجابية التي خلفتها القوافل التجارية.

(ISSN: 2536 - 9555)

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- إبراز الدور الحضاري الذي قامت به القوافل التجارية في منطقة إفريقيا جنوب الصحراء
- معرفة العوامل التي ساعدت القوافل التجارية للقيام بنشاطاتها التجارية

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في كونها محاولة لإماطة اللثام عن العلاقات التجارية الي كانت قائمة بين طرابلس الغرب ومملكة وداي

منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي

حدود الدراسة:

الحدود الزمانية: القرن السابع عشر

الحدود المكانية: المنطقة الممتدة من طرابلس الغرب إلى مملكة وداي جنوب الصحراء.

المحور الأول
خلفية جغرافية وتاريخية عن مملكة وداي وطرابلس

- **نبذة عن مملكة وداي الاسلامية**

دار وداي عبارة عن منطقة سهلية واسعة تنحدر من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، وتضم جبال منعزلة وبعض السلاسل الجبلية، وتقع معظمها في الشمال الشرقي والجنوب الشرقي من مدينة أبشة، تحدها من الشرق مملكة دارفور، ومن الغرب مملكة باقرمي، ومن الشمال السفوح الجنوبية لجبال تيبستي، ومن الجنوب أراضي الوثنيين. أما تقسيماتها الإدارية فتأتي حسب الاتجاهات، فتوجد خمسة أقسام رئيسية هي: إقليم الشمال، والشرق، والغرب، والبطيحة، والبطحاء، ويحمل حكام هذه الأقاليم اسم عقداء[١].

[١] محمد بن عمر التونسي، تحقيق عبد الباقي محمد، رحلة إلى وداي، شركة مناكب للنشر، ٢٠٠١، ص ١٥

وذكر ناختيقال بأن أراضي وداي تبدأ عند خط الطول ١٨، ٣٠ شرقا وعلى العرض ١٣، وتمتد وداي حوالى أربع درجات[٢].

قامت مملكة وداي على أنقاض مملكة التنجر في القرن السابع عشر الميلادي (١٦٣٥م)، على يد مؤسسها العالم الفقيه عبدالكريم بن جامع، وكانت عاصمتها وارا ثم نقلت فيما بعد إلى أبشه. وقد أسس عبد الكريم بن جامع نظاماً سياسياً على أسس الشريعة الإسلامية، وعلى مبدأ التعايش السلمي واحترام حقوق الآخرين. كما شجع على طلب العلم وهيأ البيئة المناسبة له، والتي تتمثل في إنشاء المساجد والخلاوي، وعمل على تشجيع الطلاب على طلب العلم، وإرسال بعضهم للدراسة خارج المملكة، واستقبال العلماء من الأقطار الإسلامية[٣].

تتميز مملكة وداي بخصوبة أراضيها ووفرة المياه، الأمر الذي وفر بيئة مناسبة لممارسة النشاط الزراعي وتربية المواشي. وتتمثل المنتجات الزراعية في الغلال بأنواعها والبقول والفواكه والخضروات. أما الثروة الحيوانية فتتمثل في الأبقار والأغنام، والجمال، والخيل، والحمير، والدجاج والسمك[٤].

وقد ازدهرت التجارة في مملكة وداي الإسلامية، حيث وفد إليها التجار من دار فور، وفزان، وبرقة، وطرابلس، فقد وصل إليها في عام ١٧٥٠م جمع من التجار الجلابة، قادمين من السودان فأسكنهم السلطان محمد جودة في منطقة "نمرو"، وهذا مما يدل على مدى اهتمام السلطان بالتجارة التي اعتمدت عليها المملكة بشكل كبير في نمو اقتصادها ودعم سلطتها. وفي كثير من الأحيان يكون السلطان مشاركاً ببضاعته في القوافل التجارية، وإن معظم عائدات السلطان المالية ترجع للضرائب المفروضة على القوافل التجارية، وبمرور الوقت تمكن هؤلاء التجار من الهيمنة على

---

[٢] عبد الرحمن عمر الماحي، تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢، ص ١٨

[٣] الصادق احمد آدم، الإسلام في افريقيا، (نشأة الممالك والدويلات الاسلامية، وداي نموذجا) جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، ٢٠٠٦، ص ٣١٥

[٤] إبراهيم برمة أحمد، أثر الاستعمار الفرنسي في الصراع الثقافي في تشاد، دار المنشورات ٢٠١٩، ص ٤١

(ISSN: 2536 - 9555)

تجارة القوافل بين مملكة وداي وكانم وباقرمي من جهة، وبين دارفور وكرفان من جهة أخرى[٥].

وتعتبر مدينة أبشة عاصمة مملكة وداي مركزاً تجارياً مهماً تلتقي فيه القوافل التجارية القادمة من جهات مختلفة، فمنها ما يأتي من مصر مروراً بدارفور ومنها ما يأتي من طرابلس وبنغازي وفزان، إضافة إلى القوافل التجارية الداخلية، كما كان لها علاقات تجارية مع كل من كانم وباقرمي[٦].

ويمثل الرعي نشاطاً ذا أهمية اقتصادية كبيرة للمملكة، وقد ساعدت السياسة التي اتبعها السلاطين من ناحية، وطبيعة التعايش السلمي بين السكان من ناحية أخرى، إلى وجود ثروة حيوانية ضخمة انتفع بها السكان المحليين والمملكة بصفة عامة[٧].

- **نبذة عن طرابلس الغرب**

تقع ولاية طرابلس الغرب في افريقيا الشمالية، محاطة شمالاً بالبحر الأبيض المتوسط وغرباً بتونس وشرقاً بمصر وجنوباً بالصحراء الكبرى[٨]. وتتكون طرابلس الغرب من ثلاثة أجزاء هي: طرابلس والتي يعرف مركزها بهذا الاسم، والثاني بنغازي، والثالث فزان ومقره مدينة مرزق. ومنذ عام ١٨٥٠ قسمت طرابلس الغرب إلى أربع متصرفيات هي:

- متصرفية طرابلس ومركزها طرابلس
- متصرفية الخمس ومركزها مدينة الخمس
- متصرفية الجبل الغربي ومركزها يفرن
- متصرفية فزان ومركزها مرزق.

---

[٥] محمد صالح يعقوب، أبشة أمس واليوم، مركز المنة الثقافي، انجمينا، ٢٠١٦، ص ٣٢

[٦] المرجع نفسه ص ٣٣

[٧] نورين مناوي برشم، تشاد بين التحديات والآفاق، مطبعة الزحف اخضر، طرابلس، ص٤٣

[٨] محمد ناجي، ترجمة عبد السلام أدهم، تاريخ طرابلس الغرب، كلية الآداب، جامعة بنغازي، ١٩٧٠، ص١٣

أما بنغازي فهي متصرفية مستقلة في شؤونها عن طرابلس الغرب، إلا في الشؤون العسكرية والبريدية والجمركية والقضائية، يحكمها حاكم مدني برتبة متصرف[٩].

نشأت طرابلس في القرن السابع الميلادي في زمن الفينيقيين، وكانت محطة تجارية ووق لتصريف المواد الأولية من افريقيا السوداء، واستمر دور هذه المدينة في مجال التبادل بين الشمال والجنوب، فامتد اتصالهم باتجاه الجنوب ليغطي مجموعة من أقطار افريقيا جنوب الصحراء "بلاد السودان". وقد أطلق العثمانيون اسم طرابلس الغرب على ليبيا طيلة فترة حكمهم لها، نسبة إلى مدينة طرابلس العريقة، وتمييزا لها عن طرابلس الشام. ومن الصدف أنه كانت دول المغرب تسمى باسم عواصمها، طرابلس الغرب نسبة إلى طرابلس، تونس نسبة إلى تونس، الجزائر نسبة إلى الجزائر، ومراكش نسبة إلى مدينة مراكش[١٠].

وكان فتح طرابلس الغرب هو أول الفتوحات الاسلامية في المغرب الغربي سنة ٢٢هـ/٦٤٢م، وتعتبر سنة ١٢٢٣هـ/١٧١١م من أهم تواريخ الحوليات الليبية، فهي السنة التي تولى الحكم فيها القرمانليون الذين ظلوا خلال أكثر من قرن من الزمان يرسون دعائم حكم وراثي مستقل[١١].

ارتكز اقتصاد طرابلس الغرب على:

أ- **الزراعة:** وأهم أنواع الأشجار الموجودة في طرابلس أشجار النخيل، والتين، واللوز، والرمان، والتوت، والبرقوق، والزيتون، والخشخاش، والخرشوف، والشيح.

ب- **الصناعة:** من أهم الصناعات في طرابلس الغرب صناعة النسيج، وصناعة الحصر، والصابون، ودباغة الجلود، والمصنوعات الذهبية والفضية. ومن

---

[٩] يونس حسين محمد، الأوضاع الإدارية والثقافية في ليبيا أثناء العهد البعثماني، مجلة جامعة سبها للعلوم الانسانية، العدد ٣، ص٦

[١٠] المرجع نفسه ص ٩.

[١١] محمد عبد الكريم الوافي، الحوليات الليبية منذ فتح الفتح العربي حتى الغزو الايطالي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٩٤م، ص ٥٣

(ISSN: 2536 - 9555)

الصناعات التي اشتهرت في طرابلس صناعة السجاد، والبسط، وصناعة الخزف، وصناعة الإسفنج.

ت- **التجارة:** عرفت طرابلس منذ القدم بأهميتها التجارية نظراً لموقعها الجغرافي المطل على البحر الأبيض المتوسط، الموقع الذي جعلها نقطة عبور وتبادل للسلع ما بين الدول الأوروبية، ودول شمال افريقيا، وأيضا وقوعها على رأس طريق القوافل الصحراوية المؤدية إلى البحر الأبيض المتوسط من الدواخل الإفريقية(١٢).

واشتهرت طرابلس في القرن التاسع عشر بتصدير نبات الحلفا إلى أوروبا، والذي استخدمه الإنجليز في صناعة الورق، وكان النشاط التجاري بواسطة القوافل التجارية الصحراوية يقابله نشاط تجاري بحري يتم من خلاله نقل السلع الإفريقية إلى العالم الخارجي، وبالمقابل تعود السفن محملة بالبضائع(١٣).

وتذكر المصادر أنه وصل في عام ١٨٢٤م إلى ميناء طرابلس سبعة وعشرون سفينة تجارية من مالطا، وليفربول، والاسكندرية، وتونس، وجربة. وفي نفس العام غادرت الميناء أكثر من مائة سفينة تحمل أعلام كل من انجلترا، وفرنسا، والنمسا، وسردينيا، وطرابلس(١٤).

المحور الثاني

جذور العلاقات التجارية بين مملكة وداي وطرابلس الغرب

اشتهر القطر الطرابلسي بتجارة ريش النعام منذ زمن سحيق، فقد كان النعام يعيش على التلال الحاكمة على الجبل، ولكن هذه الحيوانات هاجرت واستوطنت أدغال افريقيا الوسطى، ولذلك شد الطرابلسيون الرحال إلى المناطق التي هاجر إليها النعام للحفاظ على تجارتهم القديمة.

---

(١٢) راسم باشا، طرابلس الغرب في الماضي والحاضر، طرابلس، ليبيا، ط٢، ١٩٥٣، ص١١٦

(١٣) مفتاح يونس الرباصي، ازدهار تجارة القوافل بين المملكة الحفصية ودولة الكانم والبرنو، مجلة الساتل، جامعة السابع من أكتوبر، كلية الآداب، بني وليد، ليبيا، ص٩٢

(١٤) تيسير بن موسى، المجتمع الليبي في العهد العثماني الثاني، الدار العربية للكتاب،، ١٩٨٨، ص ١٦٣

وفي الفترة من ١٨٧٢م حتى ١٨٨١م، كانت تجارة مناطق جنوب الصحراء مع طرابلس نشطة جدا. وعندما أسست السواحل طرق جديدة وكثيرة مع الدواخل وقفوا لتأنيس وتربية النعام(١٥).

إن التوغل العميق لخليج سرت من الناحية الشمالية، ووجود حوض بحيرة تشاد في الجنوب، جعل طول الطريق الواصل بين البحر الأبيض المتوسط وبلاد السودان المار بفزان، أقل بألف كيلومتر عن طول أي من الطرق الأخرى. وهذه المسافة تساوي ما يزيد عن رحلة شهر بالقوافل، كما أن وجود التجمعات المحيطة بزويلة قلب الصحراء الليبية، بالإضافة إلى الجفرة، ونقاط المياه، والقرى في كوار، جعل هذه الطريق أسهل من الطرق العابرة لمناطق الكثبان الرملية الواسعة في الهضاب الموريتانية والجزائرية والمصرية(١٦).

وتعود العلاقات التجارية بين مملكة وداي وطرابلس الغرب إلى فترة مبكرة، وذلك نتيجة لحاجة سكان المنطقة لبعضهما البعض. وهناك عدة عوامل ساعدت في انعاش حركة التجارة بين الطرفين، ويندرج ذلك في إطار العلاقات العربية الافريقية، وباعتبار أن منطقة شمال إفريقيا تمثل امتداداً طبيعياً لإفريقيا جنوب الصحراء، مما يجعل القوافل التجارية تجوب الصحراء تجاه هذه البلدان ذهابا وإيابا بهدف تبادل المنافع بين الجميع(١٧).

علماً بأن مملكة وداي تتمتع بأراضي خصبة ومناخ ملائم، وحيوانات، ونباتات متنوعة، ساعدها ذلك في توفير سلع معينة، كما أن طرابلس الغرب تتوفر فيها العديد من السلع التي يحتاج إليها أهالي وداي، بل إن تجارها وسطاء لنقل بضائع البحر الأبيض المتوسط إلى هذه المنطقة. ومن هنا ظهرت حتمية التبادل التجاري بين البلدين، ويمثل ذلك التنقل والترحال عبر هذه الصحراء في وقتها شرياناً حيوياً تجارياً

---

(١٥) محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، منشورات الجامعة الليبية، ١٩٧٠، ص٦٧.

(١٦) جاك تيري، ترجمة: جاد الله عزوز، تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، مصراته، ٢٠٠٤، ص١٩.

(١٧) عمر صالح سالم، دور الحكام السودانيين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٢، ص٢٨.

(ISSN: 2536 - 9555)

لأصحاب تلك القوافل التجارية. كما تمثل مملكة وداي بعداً جغرافياً للجنوب الليبي، وتعتبر مدخل من أسواق وبلاد السودان من بداية فرض السيادة العثمانية على فزان عام ١٨٤٢م وغدامس عام ١٨٤٣م وغات عام ١٨٧٢م ومن ثم إلى باقي الولاية[١٨].

وتفيد الدراسات التي تطرقت للعلاقات الاقتصادية بأن الصحراء الكبرى كانت جسر تواصل مرت بدروبها القوافل التجارية والهجرات القبلية التي طبعت منطقة بحيرة تشاد بطابع إسلامي، ونقلت الكثير من المؤثرات الحضارية من الشمال إلى الجنوب، كما جعلها من جهة أخرى منفذا للبضائع الافريقية المتجهة نحو الشمال، وإن عدم وجود حدود ثابتة بين منطقة تشاد ومنطقة فزان جعلها امتدادا طبيعيا لهذه المناطق.

كما أثر انتشار الإسلام في المنطقة تأثيراً إيجابياً على النشاط التجاري بين شمال الصحراء وجنوبها، لأن الإسلام فتح أمامهم أبواب العالم الإسلامي، وباتصالهم مع إخوانهم المسلمين اكتسبوا الكثير من المعارف من بينها فنون التجارة[١٩].

واستمرت العلاقات التجارية بين الساحل ومناطق وسط إفريقيا بعد قدوم الفينيقيين للمنطقة وبناء المدن الثلاث (لبدة– أوبا– صبراته). وبالرغم من أن الفينيقيين لم يتوغلوا في الداخل، إلا أن هذه المدن أصبحت منافذ للتجارة الإفريقية التي كان السكان المحليون يجلبونها من إفريقيا عن طريق القوافل، وأكبر دليل على ذلك ما تشير إليه المصادر بأن طرابلس كان يطلق عليها "بوابة الصحراء"[٢٠].

إذاً فالعلاقات الليبية مع تشاد وخصوصا بين وداي وطرابلس كانت نتاج تفاعل تاريخي منذ فترة طويلة، وكان للإسلام دور كبير في دفع التفاعل إلى الأمام وخلق الصلات والروابط المشتركة.

---

[١٨] محمد شرومة انقاري، المظاهر الحضارية لمملكة وداي الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ٢٠٠٥، ص ٢١٦.

[١٩] محمد سعيد القشاط، ليبيا والعلاقات التجارية مع دول الجوار، مكتبة جزيرة الورد، ط١، ٢٠٠٧، ص٧١

[٢٠] عبد الله بازينه، انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، منشورات جامعة السابع من أكتوبر، مصراته، الجماهيرية الليبية، ٢٠١٠، ص٥٩

المحور الثالث
طرق سير القوافل التجارية ومراكزها

١- طرق سير القوافل التجارية

عند الحديث عن طرق القوافل بين وداي وطرابلس فلابد أن ننبه إلى نقطة مهمة وهي وقوع مملكة وداي ضمن نطاق السودان الأوسط، والذي يبدأ من طرابلس الغرب إلى أعماق الصحراء في نيجيريا، وغانا، وحواضرهما مثل كانو، وبرنو، ووداي.

وقد كشفت العديد من الدراسات على وجود تجارة في هذا الطريق منذ عدة قرون، وبالرغم من وجود الصعوبات الطبيعية والمناخية إلا أنها لم تمنع من التبادل التجاري. وزاد هذا التبادل التجاري عندما دخلت المنطقة في نطاق الحضارة الإسلامية، فزادت على قوافل التجارة قوافل الحج، التي تأتي من المغرب الأقصى والمغرب الأوسط والأدنى، ثم تدخل إلى مصر وليبيا، وأخرى تأتي من الجنوب(٢١).

وقد اهتم الرحالة العرب عبر القرون بدراسة طرق القوافل التجارية ونذكر منهم اليعقوبي: وهو أول جغرافي عربي أمدنا بمعلومات مباشرة عن الطرق الصحراوية، منها طريق الذهب من سجلماسة إلى غانا. كما كتب عن الطريق الشرقي من فزان عبر كوار جنوباً إلى حوض بحيرة تشاد.

ومنذ نهاية القرن الثامن عشر بدأ الاهتمام الأوروبي باستكشاف الطرق والمسالك التجارية عبر الصحراء الكبرى. ومن الرحالة والمستكشفين الأوروبيين: بارت، ناختيجال، ليون وغيرهم(٢٢).

وسوف نركز في هذا البحث على الطرق التي تربط بين وداي وطرابلس، وتتمثل في الآتي:

١- طريق برنو: يبدأ من طرابلس إلى مرزق عبر سبها ومنها إلى برنو، ويعتبر من أسهل الطرق من حيث وفرة الماء، والأمن، ويسمى طريق "الجرمنت". وكان هذا

---

(٢١) سحر السيد سالم، أضواء على بعض المراكز التجارية في المغربين الأوسط والأقصى في القرن الثالث الهجري، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٦، ص ١٤٥

(٢٢) أحمد إلياس، طرق القوافل عبر الصحراء والممالك الافريقية جنوبي الصحراء الكبرى، دراسات افريقية، ص ١٠٨

(ISSN: 2536 - 9555)

الطريق يتفرع إلى فرعين، فرع إلى بلما وأقاديم، وماو، وكوكا عاصمة برنو، وفرع آخر إلى أبشة شرق وداي. وقد سلك هذا الطريق كل من: فوجل في رحلته عام ١٨٥٤م، وبارت عام ١٨٥٥م، وناختيجال عام ١٨٧٠م. وكانت هذه الطريق تمر بها القوافل أكثر من غيرها، حتى ضعفت في الأربعينات من القرن التاسع عشر بسبب المشاكل السياسية في منطقة بحيرة تشاد، ومنها صراعات أولاد سليمان مع العثمانيين وسيطرتهم على طرق القوافل، وظهور رابح فضل الله. وتستغرق الرحلة في هذا الطريق ستة أشهر[٢٣].

وقد أدت الأحداث التي شهدتها طرابلس في الفترة من ١٨٣٠م-١٨٤٢م إلى شل الحركة التجارية في هذه الطريق لسببين:

الأول: لم تستطع إدارة العهد العثماني الثاني، التي حلت محل القرمانليين عام ١٨٣٥م، أن تمد نفوذها إلى المناطق الواقعة جنوب فزان، الأمر الذي جعل الطوارق والتبو، أكثر سكان الصحراء، يستعيدون نشاطهم في اساليب النهب والغارات، ليس على القوافل التجارية فحسب، بل ضد بعضهم بعضا، وكانت نتيجة الحروب التي دارت بين التبو والطوارق هي قفل طريق مرزق برنو.

ثانيا: ترتب على شل الحركة التجارية على طريق طرابلس برنو، إلى تحول معظمهما إلى الطرق الشرقي (بنغازي وداي)، وإلى طرق السودان الأخرى[٢٤].

٢- **طريق طرابلس وداي:** ويعرف أيضا باسم طريق برقة أو طريق بنغازي وداي. لم يرد في كتب الرحالة والمستكشفين تفاصيل دقيقة عن طريق طرابلس وداي كما هو الحال في الطريق الصحراوية الأخرى المؤدية إلى بلاد السودان. هناك طريقان يؤديان إلى "وداي" ينطلق أحدهما من طرابلس بمحاذاة الساحل حتى سرت، ثم يتجه جنوبا إلى الكفرة ومنها إلى الكفرة ثم إلى وداي. وهذا الطريق أطول من الطريق الشرقية الجنوبية وأصعبها، بسبب شح المياه وقلة الأمان وطول المسافة. والطريق الثانية تبدأ من بنغازي ومنها إلى جالو ثم الكفرة، وهناك يلتقي بالطريق الأولى المتجهة إلى وداي.

---

[٢٣] فرنشيسكو كور، ليبيا أثناء العهد العثماني، ترجمة: خليفة محمد، دار الفرجاني، طرابلس.

[٢٤] رجب نصير الأبيض، مرزق وتجارة القوافل الصحراوية، الجماهيرية الليبية، ١٩٩٨، ص٢٠٠

٣- **طريق يقع شرقي الطريقين الأولين**، ويلتقي بالطرق الأخرى في فزان وبعد عام ١٨٣٧م اتجه هذا الطريق راساً من الكفرة ثم برقة. وقد سلك السلطان منسي موسى الطريق المار على جنوب شرق برقة في طريق عودته من رحلة الحج، حيث بدأ رحلته من مصر إلى واحة الكفرة ببرقة ثم وداي فبحيرة تشاد ثم قاو. ومن المعروف أن قوافل الحج الوافدة من بلاد السودان تعبر من الشرق إلى الغرب والعكس، ومن المراكز المهمة لمرور هذه القوافل مدينة أبشة[٢٥].

وهناك العديد من التهديدات الأمنية التي تعترض القوافل التجارية في هذه الطريق، **سنحاول حصرها في نقاط:**

- الصراعات السياسية بين الأمراء والحكام
- الحروب بين القبائل وبطون القبيلة الواحدة
- العصابات وقطاع الطرق التي كانت تأتي من القبائل، أو من أفراد من القبيلة التي تتمرد وتخرج عن الطاعة للسلطة المركزية، سواء كانت سلطة القبيلة أو السلطنة أو ممثلي الدولة العثمانية في الأقاليم.

كما أن القبائل التي تضمن أمن وسلامة القوافل التجارية في الأحوال العادية، أما إذا قامت بينها حروب فإن النشاط التجاري يتهدد تهديداً مباشراً، فهذه القبائل تتوزع في المناطق الممتدة من غدامس، وغات، وصولاً إلى الممالك التشادية، وعادة فإن هذه القبائل تسترزق من القوافل التجارية، ليس بالممارسة المباشرة للتجارة، ولكن من خلال تقديم الحماية والخدمات، مثل خدمات تأجير الجمال، وتوفير خدمات الحراسة، وتصل إلى حد التفاوض مع القبائل والممالك الأخرى التي تقع خارجها، وبالتفاوض تضمن سلامة القوافل من خلال التوافق بين الزعامات ورؤساء القوافل، اما إذا لم يتم التوافق فتتعرض القوافل للسلب والنهب[٢٦].

---

[٢٥] الكاملة فرحات، قافلة الحج المصرية إبان العهد العثماني، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، ٢٠١٢، ص٥٣

[٢٦] مدحت الشيخ، توسع الاستعمار الفرنسي في شمال الصحراء الجزائرية وأثرها على تجارة القوافل، الملتقى الدولي لتجارة القوافل الصحراوية، نوفمبر ٢٠٢٠

(ISSN: 2536 - 9555)

٢ – مراكز القوافل التجارية

ظهرت عدة مراكز تجارية عبر طرق القوافل الصحراوية من وداي إلى طرابلس والعكس، ومن أبرز الاثار الإيجابية التي نتجت عن تنقل القوافل التجارية ظهور مدن تجارية قامت على أساس هذا التبادل التجاري، وقد قامت هذه المدن بدور بارز وبناء في خدمة الدعوة الإسلامية في تشاد والدول المحيطة بها، وهذا يدل على صلة انتشار الإسلام بالتجارة، فإذا برزت مدينة تجارية يؤمها البائع والمشتري سرعان ما تصبح مركزا ثقافياً يؤمه المعلم والمربي، ومن الشائع أن مركز الاحتكاك تتبادل فيه السلع والأفكار [٢٧].

وقد احتفظ لنا التاريخ بأسماء مراكز تجارية تقع على طرق القوافل التجارية، ومن أبرز هذه المراكز:

١– **وارا:** عاصمة مملكة وداي من ١٦٥٠م إلى ١٨٥٠م، وبحسب ما ذكره ابن عمر التونسي، تقع وارا عند خط ١٣ شمالاً و٢١ أو ٢٢ شرقاً، ولا تبعد كثيراً عن دار تاما. وكلمة وارا هي تحريف للكلمة العربية "وعرة" أي المكان الصعب المسالك. واستمرت وارا عاصمة لمملكة وداي حتى نقل العاصمة إلى أبشة عام ١٨٥٠م في عهد السلطان محمد شريف. وقد كانت وارا مدينة مزدهرة ثقافيا قبل أن تتعرض لشح المياه والاضطرابات السياسية وهي أهم أسباب نقل العاصمة من وارا إلى أبشة، ولكنها برغم ذلك استمرت مركزاً تجارياً تمر به قوافل مصر ودار فور، كما كانت معبراً لقوافل الحج وضمن محطات قوافل طرابلس.

٢– **أبشة:** عاصمة مملكة وداي بعد وارا، ولازالت هي عاصمة المملكة حتى اليوم. تأسست في عهد السلطان محمد شريف عام ١٨٥٠م. من أبرز معالمها قصر السلطان والمسجد العتيق. عرفت بمدينة العلم والعلماء، بسبب كثرة علمائها وانشتار الكتاتيب لتعليم علوم الدين بمختلف فروعها، ولا يكاد بيت من بيوت المدينة يخلو من حلقة لتحفيظ القرآن الكريم. وتعتر أبشة أحد أهم المدن

[٢٧] عبد الحق محمد آدم، الإسلام والمسلمون في تشاد، ندوة الإسلام والمسلمون في إفريقيا، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٢٩٤

الإسلامية ليس في تشاد فقط، بل في كل أقاليم وسط إفريقيا، وشهدت ابشع المجازر في التاريخ وهي مجزرة "الكبكب" عام ١٩١٧م، التي نفذها الجيش الفرنس ضد علماء المنطقة.

٣- **بلتن:** تقع شمال شرق البلاد وهي حاضرة إقليم "وادي فيرا"، ذات مظاهر تضاريسية متنوعة وتعتبر من المدن ذات المواقع الجيواستراتيجية المهمة في القسم الشمالي الشرقي من البلاد، كما تمر بها كل الطرق القادمة من شمال شرق البلاد والمتجهة غرباً[٢٨].

٤- **فايا:** تقع على السفح الجنوبي لهضبة بوركو، وتعد واحدة من أقدم المدن في تشاد، حيث كانت تشكل معبراً مهماً للقوافل التجارية في العصور الوسطى، أما اليوم فهي عاصمة الشمال وأكبر مدن محافظة "بوركو- إنيدي- تيبستي"، فهي عبارة عن واحة خضراء ممتدة المساحة في وسط الصحراء التشادية. تشتهر بأشجار النخيل وآبار الملح والعطرون، وكانت فايا تسمى "بوركو" بلغة التبو، نسبة لآبار العطرون التي تشتهر بها، ولكنها سميت "فايا لارجو" بعد الغزو الفرنسي لتشاد، نسبة للعقيد لارجو الفرنسي، الذي قاد الحملة الفرنسية في تشاد[٢٩].

٥- **الكفرة:** يطلق اسم الواحات الخارجة الصحراوية والتي تحمل كل منها اسمها المستقل والبعيدة عن وادي الكفرة بعشرات الكيلومترات، وتفصلها عن أرخبيل الكفرة عقبات طبيعية. اما اسم الكفرة فيطلق على الواحات التي يضمها منخفض الكفرة وهي مدينة مهمة تعبرها القوافل، ومركزا مهما للحركة السنوسية[٣٠].

٦- **أوجلة:** تميزت بموقعها المؤدي إلى بلاد السودان، قال الإدريسي عنها: "ومنها يدخل كثير من أرض السودان نحو بلاد كوار، وبلاد كوكو.

---

[٢٨] عبدالحق يحيى، جغرافية تشاد، القاهرة، ٢٠١٢، ص١٦٠

[٢٩] نورين مناوي برشم، مرجع سبق ذكره، ص ٢٩

[٣٠] دانتي ماريا الكفرة الغامضة، ترجمة: وهبي أحمد البوري، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ص ٣٤

(ISSN: 2536 - 9555)

٧- **جالو:** تقع على مسافة ١٤٠كم من أقرب نقطة من شاطئ البحر الأبيض المتوسط، وراء اجدابيا على مسافة ٦٠٠ كم على الجنوب مباشرة من الكفرة الواقعة مباشرة من الواحة، وهي المصدر الذي تصدر منه بضائع وداي، ودارفور، بعد مرورها بالكفرة، وأيضا يمر بها كل ما يتم إرساله من جهات أخرى إلى الكفرة، ومن أشهر قبائلها "المجابرة" رواد تجارة الصحراء الليبية وبعض من قبيلة "الزوية" وقد وصفها السيد "البشاري" وهو من شيوخ قبيلة المجابرة فقال: "إن الصحراء بحر وجالو ثغر ذلك البحر"(٣١).

٨- **غدامس:** مدينة حضارية، ليس لبعدها التجاري والاقتصادي والحضاري فحسب، ولكن حتى بعدها العلمي والثقافي. تقع على حدود المغرب الأوسط وليبيا، وترتبط هذه المدينة بطرق ثانوية مثل طريق السودان الشرقي وطريق السودان الغربي وبمجموعة من الحواضر التجارية والحضارية في بلاد المغرب الأوسط، مثل قابس ووادي سوف. وتوجد داخل هذه المدينة مجموعة من شبكة الطرق تربطها بالحواضر الأخرى المحيطة بها(٣٢).

٩- **مرزق:** تقع في الحوض المسمى حوض مرزق، وهو أحد الأودية الثلاثة التي يتوفر فيها الماء والحياة، وهي وادي الشاطئ ووادي الآجال، وحوض مرزق، ويشمل حوض مرزق على سلسلة من الأودية التي تتصل ببعضها البعض، وتقع مرزق في المنطقة الوسطى من هذا الحوض. وقد ذكر "التونسي" أن مرزق عرفت باسم "زويلة"، وكان يميل إلى القول بأن هذا هو الاسم القديم لمرزق. ويذكر أن زويلة كانت عاصمة حكم الجرمان منذ أواخر القرن الرابع عشر، وقد حلت مرزق محل زويلة، من الناحيتين السياسية والاقتصادية في ظل حكم أولاد محمد، ولذا ظل اسم زويلة عالقاً في ذهن أهل بلاد السودان، لقدم التعامل معها(٣٣).

---

(٣١) أحمد حسنين بك، الواحات المفقودة، أبوظبي للثقافة والتراث ص ٧٩

(٣٢) عبدالعزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٧١، ص ٢٦٢

(٣٣) رجب نصير الابيض، مرجع سبق ذكره ص٦٤

١٠-**طرابلس:** من أهم المدن التجارية الليبية على الإطلاق منذ العهد الروماني، وهي ملتقى تجتمع فيه سلع أواسط إفريقيا مع سلع الشرق وأوروبا، وفيها يتم تبادل السلع وإيصالها إلى مواطن استهلاكها.

١١-**بنغازي:** ثاني المدن الليبية بعد طرابلس، وهي حاضرة إقليم برقة، وبحسب الروايات التي تناقلها السكان جيل بعد جيل، فإن أول من سكنها هم بعض التجار الذين كانوا يتنقلون للتجارة ما بين طرابلس ودرنة، وعرفت باسم "مرسى بنغازي" نسبة إلى السيد غازي المدفون في المقبرة الكبرى المعروفة حاليا باسم مقبرة سيدي "خريبيش"[٣٤].

المحور الرابع
الأبعاد الحضارية للقوافل التجارية

ساهمت القوافل التجارية إلى حد كبير في توثيق الروابط بين المناطق الواقعة شمال الصحراء الكبرى والمناطق الواقعة في جنوبها بشكل عام، وبين مملكة وداي وطرابلس بشكل خاص. كما كانت رمزا من رموز الاتصال بين المكونات الحضارية المختلفة، وخلفت أبعاداً اقتصادية ودينية وثقافية وعمرانية. فلم تكن القوافل التجارية تحمل البضائع لغرض التجارة والربح فقط، بل كانت تحمل معها الكثير من الثقافات والأفكار والعلوم، وكانت كل طبقات المجتمع تشارك فيها كل حسب دوره ومجاله.

وسنتطرق في هذا المحور لبعض الأبعاد الحضارية للقوافل التجارية.

١) البعد العمراني:

العمارة هي أحد المصادر الأساسية التي يعتمد عليها باحث التاريخ في دراسته العلمية، كما أن العمارة هي السجل الميداني المجسد والذي لا يخدع ولا يكذب، فمن خلال العمارة يمكن أن نتعرف على تاريخ أي منطقة من المناطق ومعرفة مدى المدنية التي وصل إليها أهل تلك المنطقة، من خلال ملاحظة أن هذا العمران هل ظهر من خلال عملية التطور الذي شهدته المنطقة بدون التأثر بالمجتمعات الأخرى،

---

[٣٤] نجيمة الصادق، بنغازي محطة تاريخية لطرق القوافل، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ٢٠١٠، ص٤

(ISSN: 2536 - 9555)

وبالطبع هذا أمر مستبعد لأن المجتمعات تتطور من خلال تأثرها بغيرها من المجتمعات.

ويمكن ذكر بعض الأمثلة التي يمكن من خلالها التعرف على مساهمة القوافل التجارية في تطور العمران. ساعدت القوافل التجارية في عملية البناء من خلال نقل مواد البناء، وكذلك نقل تقنيات البناء. فالخشب مثلا لا يتوفر في بعض الأماكن، وبالتالي يمكن أن يأتي من الأماكن التي يتوفر فيها ويستخدم في بناء المنابر أو المحارب والنوافذ والأبواب. فالخشب المستخدم يتثمل في سعف النخيل وفي الدواخل تستخدم أنواع أخرى من الأشجار تكون متوفرة هناك، ولكن هناك أخشاب أخرى الأكثر تطورا يمكن أن تجلب من الشمال[٣٥].

كذلك بالنسبة للنحاس والحديد فمناطق الصحراء لا تعرف كيفية استخلاص الحديد من المادة الأولية، وبالتالي يجلب من مناطق أخرى عن طريق القوافل التجارية. والقافلة التجارية تحمل في الغالب عنصراً آخر مهماً وهو الحرف والمهن، فنجد في القافلة التجارية الصناعيين، والبنائين، الذين يأتون معهم بالتقنيات الجديدة المستخدمة في البناء، فالنمط المعماري الموجود في المناطق الشمالية يختلف عن النمط المعماري الموجود في المناطق الواقعة جنوب الصحراء، سواء في وداي أو كانم أو باقرمي أو في فزان التي تعتبر إحدى مناطق الوصل بين شمال الصحراء وجنوبها. وهذه التقنيات نجدها غالباً عند أولئك الذين يرافقون القافلة التجارية[٣٦].

وقد وجدت الكثير من المدن التي أنشئت بسبب القوافل التجارية، فالقافلة التجارية يمكن أن تبيت يومين أو ثلاثة أو أكثر بحسب ما تحتاجه القافلة لأخذ راحتها والاستعداد لمتابعة السير، وخصوصاً إذا توفرت المياه، والبعض قد يستقر في ذلك المكان فتنشأ قرية صغيرة تتطور إلى مدينة، مثال على ذلك مدينة مرزق الواقعة على طريق طرابلس قد اكتسبت أهميتها من خلال مرور القوافل التجارية بها وفقدت هذه

---

[٣٥] محمد عبدالستار عثمان، العمارة الفاطمية (الحربية–المدنية–الدينية)، دار القاهرة، جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٦، ص٣٣

[٣٦] المرجع نفسه، ص٣٤

الأهمية بعد تحول القوافل من فزان إلى برقة، وهذا ما تم في مدينة أبشة مما يدل على أن هناك تأثير واضح للقوافل التجارية[٣٧].

ومن أهم آثار التجار الليبيين المعمارية في مدينة أبشة ذلك الحي الذي عرف بحي "الفيزان"، وقد أطلقت عليه هذه التسمية نسبة إلى فزان، ويتميز بطراز معماري جديد يختلف عن الطرز المعمارية المعروفة في أبشة في ذلك الوقت، ويقع هذا الحي بالقرب من السوق المركزي لمدينة أبشة. وكان يسكنه عدد من الأسر الليبية. ومن ناحية أخرى فإن التجار القادمين من ليبيا كانوا ميسوري الحال، وانعكس ذلك في المباني التي أنشأوها في مدينة أبشة، حيث كانوا يبنون بيوتهم بالطوب الأحمر ومرتفعة نوعاً ما وبشكل متين، ولذلك رغم مرور الزمن وتعرضها لعوامل كثيرة منها سقوط الأمطار، إلا أنها لا تزال واقفة ولم تنهار. والزائر لمناطق الشرق الليبي وخصوصاً بنغازي واجدابيا يلاحظ وجود هذا النمط بنفس مواد البناء، بالرغم من التطور العمراني فإن هذا النمط لايزال قائماً وخصوصاً في ضواحي المدن[٣٨].

٢) البعد الاجتماعي

يطلق على التجار الليبيين الذين استقروا في مينة ابشة اسم "الفيزان"، نسبة إلى منطقة فزان التي تقع في الأراضي الليبية، وهم يشكلون الجالية الليبية في هذه المدينة، ولكنهم أصبحوا جزءاً من النسيج الاجتماعي لمدينة ابشة، ونجد من بينهم المجابرة، والزوية، وأولاد سليمان، وغيرهم، وصولوا إلى المنطقة خلال فترات متتالية بحسب الظروف التي دفعتهم للهجرة، سواء كانت ظروفاً سياسية أو اقتصادية أو دينية، لكن غالبيتهم امتهنوا التجارة وطاب لهم المقام واستقروا في مدينة ابشة حتى انصهروا مع سكانها وامتزجوا معهم وساعدهم على ذلك طبيعة سكان المنطقة وميزاتهم في احتضان كل القادمين إليهم واستيعابهم وبذلك تبوأ هؤلاء التجار الليبيين مكانة محترمة لدى مجتمع أبشة.

---

[٣٧] محمد شرومة انقاري، الدور الحضاري الإسلامي في إفريقيا جنوب الصحراء (مدينة أبشة نموذجا)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، الخرطوم، ٢٠١٩، ص١١٣

[٣٨] محمد شرومة انقاري، المظاهر الحضارية لمملكة وداي الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص١٠٠

(ISSN: 2536 - 9555)

وشارك هؤلاء التجار السكان الأصليين في كل أفراحهم وأحزانهم، وتحمسوا للمدينة وسكانها حتى قيل أن أحد التجار الليبيين، والذين كانوا يعرفون في المينة باسم "تجار الجمال" تعلق بمدينة أبشة، وأراد أن يترك بصمته في المدينة فقام بنقل بعض الجذور لغرسها في المدينة حتى تكون شاهداً على عمق هذه العلاقة الطيبة بين هؤلاء التجار وسكان المدينة.

ومن العائلات التي قطنت مدينة أبشة على سبيل المثال، عائلة البشاري، وعائلة جويلي، وعائلة جابر، وعائلة مفتاح، وعائلة المبروك أبو صفيطة الذي ترك المدينة في ثمانينات القرن العشرين، وعائلة أبو صفيطة من العائلات المجبرية ذات الصيت الواسع في مجال تجارة القوافل.

وهناك عائلات ليبية أخرى استقرت في مناطق أخرى في مملكة وداي، ومن أشهر هذه المناطق منطقة عراضه، ومن أمثلة ذلك "فاطمة الدلالية" ابنة المجاهد المعروف وابنائها حميدة وعبدالرازق، وعائلة عبدالرحيم الزوي الذي توفي في مدينة اجدابيا الليبية، وأبناؤه يقيمون الآن في مدينتي اجدابيا وسبها، وغيرهم كثير.

وتعكس هذه الصورة الدرجة العالية التي وصل إليها سكان المملكة بمختلف فئاتهم وطبقاتهم من الرقي والتقدم الأخلاقي في فن التعامل فيما بينهم ومع غيرهم ممن تواصلوا معهم سياسياً وتجارياً واجتماعياً، وقد وصلوا إلى هذه الدرجة من الرقي الحضاري والأخلاقي لسببين:

الأول: الأخلاق الفطرية المتمثلة فيهم من شجاعة، وكرم، وشهامة، وصدق، ووفاء وغيرها.

الثاني: تمسكهم بتعاليم الشريعة الاسلامية السمحاء، والتي رسمت للمسلمين نهجاً قويماً واضحاً في كل ما يجب عليهم في تعاملاتهم في جميع أمور الحياة فيما بينهم ومع غيرهم.

٣) البعد الثقافي

إن من العوامل المهمة التي لا يمكن غض الطرف عنها، باعتبارها العامل الرئيسي في انتشار الثقافة العربية الاسلامية في مناطق جنوب الصحراء الكبرى، بما فيها مملكة وداي، هو تجارة القوافل الصحراوية. فالقافلة كانت تحمل معها العالم

والفقيه، إضافة إلى الكتب، والمخطوطات. وقد عرفت مملكة وداي الكثير من العلوم والمعارف الدينية عن طريق العلماء والفقهاء الذين يصلون إليها بصحبة القوافل التجارية منها والدينية(٣٩).

كما أن كثير من أبناء المملكة انتقلوا إلى المراكز الاسلامية الأخرى عبر تلك القوافل، وتلقوا منها العلوم ثم عادوا إلى وطنهم ونقلوا معهم ما تعلموه. ومما ساعد على الازدهار الثقافي، اهتمام سلاطين وداي بالعلم والعلماء، وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في جميع معاملاتهم، هذا الأمر ساعد في اجتذاب العلماء والفقهاء، وتنوعت الكتب والمخطوطات، فشملت جميع الأقسام من علوم الفقه، والتوحيد، والسيرة، والحديث، ونسخ القرآن الكريم(٤٠).

وكانت القوافل التجارية التي تنتقل بين مملكة وداي وطرابلس قد أسهمت بشكل كبير في ترسيخ الثقافة العربية الإسلامية، حيث كانت تنقل الطلاب إلى المراكز العلمية في ليبيا وغيرها لتلقي العلوم والمعارف وتقديم التسهيلات لهم وتذليل العقبات التي تواجههم خلال فترة دراستهم، مما ساعد في التبحر في علوم كثيرة. كما قام التجار الليبيين الذين استقروا في مدينة أبشة بدور كبير من أجل مساعدة المراكز العلمية، ومجالس العلماء، وأماكن الكتاتيب، ويمدون لهم يد العون في إطار جهودهم النبيلة لنشر الثقافة العربية الاسلامية(٤١).

وكذلك ساعد الاحتكاك بين السكان وبين العلماء والتجار الوافدين في انتشار الزي الإسلامي، فقد تميز العلماء بلبس العمائم والجلاليب وغيرها. كما يظهر هذا الأثر في السلاطين الذين حرصوا على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في المعاملات التجارية، فلم يكن مسموحاً إظهار أي تهاون في معاقبة من يخالف

---

(٣٩) عمر صالح سالم، مرجع سبق ذكره، ص ٦٤

(٤٠) علي محمد الأمين، الدور الحضاري للطرق التجارية بين الشمال الإفريقي والسودان الغربي، المركز الجامعي أفلو، الأغواط، الجزائر، مجلة العلوم الإسلامية والحضارية، العدد٦، ٢٠١٧، ص ٢٥٢

(٤١) محمد الصافي، إسهامات علماء المغرب في التواصل الفكري والثقافي مع بلدان إفريقيا جنوب الصحراء، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد ٣٦، ٢٠١٩، ص ١٣٦

(ISSN: 2536 - 9555)

الأحكام الشرعية في المعاملات التجارية، كالكيل، والميزان، وسداد الديون لأصحابها[٤٢].

وتحتوي مكتبات تشاد ومنها مكتبات مملكة وداي على الكثير من الوثائق التي تشهد على تاريخ العلاقات العلمية والثقافية والتجارية للمملكة، والتي تمثل روح الحياة الثقافية والمعرفية التي عاشتها المملكة. وقد جمعت هذه المخطوطات من مكتبات المواطنين الشخصية في كل من باقرمي، ووداي. ففي وداي وجدت هذه المخطوطات في أبشة و"وارا" أما أماكن تواجدها فهي: مكتبة قصر السلطان بأبشة، ومكتبة الشيخ معزل في أبشة، ومكتبة الشيخ مكي عبدالله كوكاب التي لها فرع في أبشة وآخر في منطقة دبدب. والعدد الكلي للمخطوطات التي تم جمعها لا يقل عن ألف ومائة مخطوط، تمت فهرستها وتنسيقها[٤٣].

المحور الخامس

المحاولات الفرنسية لتحويل تجارة القوافل من طرابلس إلى الجزائر

أدت الثورة الصناعية إلى تصاعد وتيرة الإنتاج في أوروبا الذي أفرز مجموعة من المعطيات، أولها حصول كساد في الإنتاج الصناعي، وعجز في أسواق أوروبا عن استيعابه، وظهور حاجة إلى الأسواق الخارجية لترويجه، وكذلك نفاد المواد الأولية في أوروبا مما دفع الدول الأوروبية إلى تأمينها من خلال السيطرة على الأماكن الغنية بها، فكانت القارة الإفريقية هي التي تحقق الهدف[٤٤].

أما من جانب الأهمية الاقتصادية لتجارة القوافل، بالنسبة للإنجليز والفرنسيين، فقد مكنت الرحلات مثل رحلة "هنري بارت" الذي انطلق من مرزق ووصل إلى بحيرة تشاد من التعرف على الإمكانيات الكبيرة وفرص الاستثمار المتوفرة في الصحراء الإفريقية وفي دواخل إفريقيا، وكان هذا محفزاً لكل الدول الأوروبية وخاصة فرنسا

---

[٤٢] على محمد الأمين، مرجع سبق ذكره، ص٢٥٤

[٤٣] محمد صالح أيوب، محاضرة بعنوان: المخطوطات وأهميتها في تدوين التاريخ التشادي، المكتبة الوطنية، انجمينا، تشاد، ٢٠٢٠

[٤٤] جاك فريمو، ترجمة هشام صالح، فرنسا والإسلام،، شركة الأرض للنشر المحدودة، ١٩٩١، ص ٧٤

وبريطانيا لتحويل هذا النشاط كمصدر للتمويل. وبالنسبة لبريطانيا كان وضعها أفضل بسبب المستعمرات التي تسيطر عليها، أما فرنسا فكان وضعها حرجاً، بسبب هزيمتها أمام بروسيا.

وقد سعى الإنجليز والفرنسيين للسيطرة على تجارة القوافل، وافتكاكها من القائمين عليها في الصحراء، فقد كشفت هذه التجارة عن إمكانيات هائلة في الصحراء دفعتهم للتنافس عليها. ونظراً لعدم تطرق مؤتمر برلين لمسألة الصحراء، وتجنباً للمواجهة بين الانجليز والفرنسيين، عقدت الدولتين اتفاقاً عام ١٨٩٠م يقضي بضرورة المساواة في التعامل التجاري بين البلدين على المنطقة الممتدة من النيل حتى بحيرة تشاد[٤٥].

لقد رأى الفرنسيون في الصحراء الجزائرية منذ القرن التاسع عشر عمقاً استراتيجياً وطريقاً للوصول إلى إفريقيا جنوب الصحراء، وذلك بهدف إيجاد مواقع لها في داخل القارة من جهة، والسيطرة على التجارة الصحراوية من جهة ثانية، لذا أولتها اهتماماً كبيراً حتى قبل ظهور البترول والغاز فيها خلال القرن العشرين. لذا كان يجب غزو الصحراء لربط المستعمرات الفرنسية بالوطن الأم.

وقد سعت فرنسا بعد عام من احتلالها الجزائر عام ١٨٣٠م إلى خلق حركة تجارية مزدهرة، بهدف تصريف منتجاتها الصناعية في وسط إفريقيا، باستغلال الموانئ الجزائرية وطرق القوافل التي تربط هذه المستعمرات بوسط إفريقيا، ولكن وجود الحركة الاسلامية المسلحة في جنوب الجزائر حال دون تحقيق الهدف[٤٦].

إن ازدهار الحركة التجارية بين طرابلس وإفريقيا عبر واحتي غدامس وغات، جعلت الفرنسيين يفكرون ملياً منذ سنة ١٨٦٠م في تغيير وجهة القوافل الواردة من السودان إلى الجزائر بدلاً من طرابلس. **وسعيا لتحقيق هذا الهدف فقد قامت بعدة محاولات منها:**

---

[٤٥] دعاشي سميرة، جوانب من اهتمام فرنسا بالتجارة العابرة للصحراء، مجلة روافد للبحوث والدراسات، ص ٨٥

[٤٦] حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوروبية نهاية الإيالة، (١١٨١٥-١٨٣٥)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط١، ٢٠٠٧، ص١٩

(ISSN: 2536 - 9555)

- في سنة ١٨٥٠م زار "لارجو" غدامس والتقى أعضاء المجلس التركي وكبار التجار، وحثهم على التوجه بقوافلهم إلى الأسواق الجزائرية بمقابل تعهد الفرنسيين بتقديم التسهيلات الخاصة بتموينهم وحمايتهم ونقل بضائعهم، وتمكينهم من زيارة المراكز الصناعية الفرنسية في الجزائر.
- طلبت الحكومة الفرنسية سنة ١٨٦٠م من الوالي التركي بطرابلس إذناً بإقامة قنصلية في غدامس تحت إدارة "محمد الثني الغدامسي"، على غرار القنصليتان البريطانيتان في غدامس ومرزق، إلا أن الوالي رفض هذا الطلب بحجة أنه لا يجوز لرعايا الدولة العثمانية رعاية مصالح الدول الأجنبية(٤٧).
- في العاشر من أكتوبر ١٨٦٢م وقع المقدم "ميرشر" والنقيب "بوليناك" اتفاقية تجارية في مدينة غدامس مع طوارق الأزجر القاطنين في غدامس، يتم بموجبها منح الطوارق التسهيلات لعرض بضائعهم في السواق الجزائرية، وإعفائهم من الضرائب، وبالمقابل يتعهد الطوارق بحماية قوافل التجار الفرنسيين المارة عبر أراضيهم.
- وفي عام ١٨٧٦م تولى "شارل فيرو" منصب القنصل الفرنسي العام في طرابلس، ومنذ بداية عمله انصب اهتمامه على استمالة تجار القوافل، ومنحهم الجنسية الفرنسية لمنافسة الدور الذي يقوم به التجار اليهود الطرابلسيون والإيطاليون كوسطاء تجاريين بين تجار القوافل وأوروبا، وحث التجار على ربط علاقات تجارية مع الفرق والوكالات التجارية الفرنسية. كما استفاد من التجار في الحصول على المعلومات المتعلقة بتجارة القوافل من حيث أهم الطرق وأكثرها أمنا، وأهم التجار وأهم السلع الأوروبية والإفريقية، والأسعار، ومعلومات عن القبائل البدوية التي تمارس السطو ضد القوافل، وعن سلاطين وشيوخ القبائل الإفريقية، ومدى استعدادهم لإقامة علاقات ودية مع الحكومة الفرنسية(٤٨).

استطاع "شارل فيرو" بهذه الطريقة جمع معلومات كثيرة ودقيقة حول تجار القوافل واحتياجات التجار، وقد أدرك أن إثارة أزمة بين الوسطاء التجاريين اليهود وتجار القواف كفيلة بأن تجعل التجار يقاطعون أسواق طرابلس ويتوجهون إلى اسواق

(٤٧) محمد سعيد الحنديري، المحاولات الفرنسية لتحويل وجهة القوافل العائدة من السودان إلى الجزائر، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين، ص ٩٥

(٤٨) دعاشي سميرة، مرجع سبق ذكره، ص٣

الدول المجاورة، وخاصة الجزائر، وقد دعا التجار إلى الاتجاه إلى باريس ووجد استجابة من بعض التجار أمثال التاجر "مبروك. بن عمار"[٤٩].

ومع استمرار الحكومة الفرنسية في محاولاتها لتحويل جهة القوافل العائدة من السودان إلى الجزائر، سافر "مبروك بن عمار" إلى السودان والتقى بمجموعة من السلاطين والشيوخ مثل "خنوخن" زعيم طوارق أزجر" وعبر لهم عن إعجابه بما شاهده في فرنسا من تقدم، كما التقى بمجموعة من كبار التجار الطوارق وتجار غدامس وغات، واقنعهم بضرورة التوجه إلى الجزائر، وأبدوا استعدادهم على أن تقوم الحكومة الفرنسية بحفر مجموعة من الآبار على طول الطريق من غات إلى غدامس.

ولتوفير الأمن للقوافل التي أبدى أصحابها استعدادهم لجلب كميات من طيور النعام إلى الجزائر، التقى مبروك بشرف الدين، أحد مساعدي "عبد الجليل سيف النصر" الذي كان يشن هجمات منظمة على القوافل العائدة إلى طرابلس، بهدف حرمان الولاية من عوائد التجارة. وطلب مبروك من شرف الدين الكف عن شن الهجمات على القوافل، ومن جانبه أعرب شرف الدين للمبروك عن رغبة عبدالجليل في أن تتدخل الحكومة الفرنسية لصالحه لدى السلطات لإصدار فرمان بالعفو عنه وإعادة أملاكه المصادرة من قبل الدولة التركية[٥٠].

وقد شعرت الحكومة الفرنسية في أثناء تحركاتها بخطر يتهددها وهو خطر الحركة السنوسي، لذا حاولت رصد تحركات "ابن السنوسي" مع الحجيج الجزائريين والمغاربة عموماً فبثت عيونها على طوول الحدود، وقد تبنى ابن السنوسي دعم حركة الجهاد في الجزائر بالأموال والأسلحة والرجال، وقد نقل عن "دوفرييه" الفرنسي ما يشير إلى تدخل: "ابن السنوسي" في أعمال المقاومة في الجزائر فيقول دوفرييه: "أن السنوسية هي المسؤولة عن جميع أعمال المقاومة التي قامت ضد فرنسا"[٥١].

---

[٤٩] المبروك بن عمار: هو تاجر جزائري الأصل مقيم في طرابلس ويمارس التجارة بين طرابلس والودان الغربي وبرنو ووداي.

[٥٠] محمد سعيد الحنديري، مرجع سبق ذكره، ص١٠٢

[٥١] علي الصلابي، تاريخ الحركة السنوسية في لإفريقيا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص٤٣

(ISSN: 2536 - 9555)

النتائج

لقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

١- ساعدت القوافل التجارية على تقوية التواصل التجاري وتأصيله، وتعزيز الأواصر الاجتماعية.

٢- أدى النشاط التجاري بين مملكة وداي وطرابلس الغرب إلى ظهور مراكز تجارية هامة عبر الطرق التي كانت تمر بها القوافل التجارية.

٣- ساهمت القوافل التجارية في نشر الثقافة العربية الاسلامية في جنوب الصحراء.

٤- حاولت الدول الأوروبية شل الحركة التجارية بين مملكة وداي وطرابلس الغرب وخصوصا فرنسا التي سعت إلى تحويل القوافل إلى الجزائر.

٥- قامت الحركة السنوسية بدور بارز في إفشال الخطط الفرنسية الرامية إلى استغلال القوافل التجارية لصالح فرنسا.

٦- كان للعامل الديني دوراً هاماً في تسهيل التعامل التجاري بين مملكة وداي وطرابلس الغرب.

٧- ساعدت الروابط الدينية والاجتماعية في توحيد الجهود لمواجهة التدخل الأوربي لفرض سيطرته على المنطقة.

الخاتمة

استعرضت الدراسة العلاقات التجارية اتي كانت قائمة بين مملكة وداي وطرابلس الغرب في القرن التاسع عشر الميلادي، والتي كانت القوافل التجارية تمثل أسمى صورها. وقد مر هذا النشاط، حسب الظروف، بفترات اضمحلال وازدهار، كما واجه العديد من الصعوبات بسبب الأطماع الأجنبية لا سيما من قبل فرنسا التي حاولت جاهدة لشل الحركة التجارية وتحويل القوافل التجارية إلى الجزائر التي تقع ضمن مستعمراتها.

وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها أن القوافل التجارية بين مملكة وداي وطرابلس الغرب لم يقتصر دورها على الجانب الاقتصادي فحسب بل تعداه ليشمل جوانب أخرى، حيث أنها ساهمت في إنشاء مؤسسات حضارية وعملت على تقوية وتعزيز أواصر المحبة والمودة بين الشعبين، كما ساهمت بشكل فعال في نشر الثقافة العربية الإسلامية، وذلك بفضل جهود سلاطين مملكة وداي الذين عملوا على تشجيع التجارة مع طرابلس الغرب.

(ISSN: 2536 - 9555)

المصادر والمراجع

١. محمد بن عمر التونسي، تحقيق عبد الباقي محمد، رحلة إلى وداي، شركة مناكب للنشر، ٢٠٠١.

٢. عبد الرحمن عمر الماحي، تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢.

٣. الصادق احمد آدم، الإسلام في افريقيا، (نشأة الممالك والدويلات الاسلامية، وداي نموذجا) جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، ٢٠٠٦.

٤. إبراهيم برمة أحمد، أثر الاستعمار الفرني في الصراع الثقافي في تشاد، دار المنشورات ٢٠١٩.

٥. محمد صالح يعقوب، أبشة أمس واليوم، مركز المنى الثقافي، انجمينا، ٢٠١٦

٦. نورين مناوي برشم، تشاد بين التحديات والآفاق، مطبعة الزحف اخضر، طرابلس

٧. محمد ناجي، ترجمة عبد السلام أدهم، تاريخ طرابلس الغرب، كلية الآداب، جامعة بنغازي، ١٩٧٠

٨. يونس حسين محمد، الأوضاع الإدارية والثقافية في ليبيا أثناء العهد العثماني، مجلة جامعة سبها للعلوم الانسانية، العدد ٣

٩. محمد عبد الكريم الوافي، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الايطالي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٩٤م

١٠. راسم باشا، طرابلس الغرب في الماضي والحاضر، طرابلس، ليبيا، ط٢، ١٩٥٣

١١. مفتاح يونس الرباصي، ازدهار تجارة القوافل بين المملكة الحفصية ودولة الكانم والبرنو، مجلة الساتل، جامعة السابع من أكتوبر، كلية الآداب، بني وليد، ليبيا

١٢. تيسير بن موسى، المجتمع الليبي في العهد العثماني الثاني، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٨

١٣. محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، منشورات الجامعة الليبية، ١٩٧٠

١٤. جاك تيري، ترجمة: جاد الله عزوز، تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، مصراته، ٢٠٠٤

١٥. عمر صالح سالم، دور الحكام السودانيين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٢
١٦. محمد شرومة انقاري، المظاهر الحضارية لمملكة وداي الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ٢٠٠٥
١٧. محمد سعيد القشاط، ليبيا والعلاقات التجارية مع دول الجوار، مكتبة جزيرة الورد، ط١، ٢٠٠٧
١٨. عبد الله بازينه، انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، منشورات جامعة السابع من أكتوبر، مصراته، الجماهيرية الليبية، ٢٠١٠
١٩. سحر السيد سالم، أضواء على بعض المراكز التجارية في المغربين الأوسط والأقصى في القرن الثالث الهجري، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٦
٢٠. أحمد إلياس، طرق القوافل عبر الصحراء والممالك الافريقية جنوبي الصحراء الكبرى، دراسات افريقية
٢١. فرنشيسكو كور، ليبيا أثناء العهد العثماني، ترجمة: خليفة محمد، دار الفرجاني، طرابلس
٢٢. رجب نصير الأبيض، مرزق وتجارة القوافل الصحراوية، الجماهيرية الليبية، ١٩٩٨
٢٣. الكاملة فرحات، قافلة الحج المصرية إبان العهد العثماني، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، ٢٠١٢
٢٤. مدحت الشيخ، توسع الاستعمار الفرنسي في شمال الصحراء الجزائرية وأثرها على تجارة القوافل، الملتقى الدولي لتجارة القوافل الصحراوية، نوفمبر ٢٠٢٠
٢٥. عبد الحق محمد آدم، الإسلام والمسلمون في تشاد، ندوة الإسلام والمسلمون في إفريقيا، القاهرة، ١٩٩٨م
٢٦. عبدالحق يحيى، جغرافية تشاد، القاهرة، ٢٠١٢
٢٧. دانتي ماريا، الكفرة الغامضة، ترجمة: وهبي أحمد البوري، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية
٢٨. أحمد حسنين بك، الواحات المفقودة، أبوظبي للثقافة والتراث

(ISSN: 2536 - 9555)

٢٩. عبدالعزيز طريح شريف، جغرافية ليبيا، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٧١
٣٠. نجيمة الصادق، بنغازي محطة تاريخية لطرق القوافل، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ٢٠١٠
٣١. محمد عبدالستار عثمان، العمارة الفاطمية (الحربية–المدنية–الدينية)، دار القاهرة، جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٦
٣٢. محمد شرومة انقاري، الدور الحضاري الإسلامي في إفريقيا جنوب الصحراء (مدينة أبشة نموذجا)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، الخرطوم، ٢٠١٩
٣٣. علي محمد الأمين، الدور الحضاري للطرق التجارية بين الشمال الإفريقي والسودان الغربي، المركز الجامعي أفلو، الأغواط، الجزائر، مجلة العلوم الإسلامية والحضارية، العدد٦، ٢٠١٧
٣٤. محمد الصافي، إسهامات علماء المغرب في التواصل الفكري والثقافي مع بلدان إفريقيا جنوب الصحراء، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد ٣٦، ٢٠١٩
٣٥. محمد صالح أيوب، محاضرة بعنوان: المخطوطات وأهميتها في تدوين التاريخ التشادي، المكتبة الوطنية، انجمينا، تشاد، ٢٠٢٠
٣٦. جاك فريمو، ترجمة هشام صالح، فرنسا والإسلام،، شركة الأرض للنشر المحدودة، ١٩٩١
٣٧. دعاشي سميرة، جوانب من اهتمام فرنسا بالتجارة العابرة للصحراء، مجلة روافد للبحوث والدراسات.
٣٨. حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوروبية نهاية الإيالة، (١١٨١٥–١٨٣٥)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط١، ٢٠٠٧
٣٩. محمد سعيد الحنديري، المحاولات الفرنسية لتحويل وجهة القوافل العائدة من السودان إلى الجزائر، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين.
٤٠. علي الصلابي، تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا، دار المعرفة، بيروت، لبنان.